

حسانين فهمي حسين* (Hassanein Fahmy Hussein)

ترجمات ودراسات أعمال الكاتب الصيني لو شون في مصر

Translations and Studies of the Works of Chinese Writer Lu Xun in Egypt

<https://doi.org/10.1515/caas-2022-2002>

تاريخ النشر: 30-6-2022

الملخص: يعدُّ الكاتب الصينيّ لو شون (1881-1936) أحد أهم الكُتاب في تاريخ الأدب الصينيّ، وقد تمّت ترجمة أعماله منذ سنوات طويلة إلى الكثير من اللغات الأجنبية ومن بينها اللغة العربية، فضلاً عن ترجمة أعماله، فقد قدّم الباحثون والنقاد الأجانب العديد من الدراسات القيمة حول فكره وأدبه، وكان للترجمات والدراسات العربية حول فكر وأدب لو شون، دورها المهم في التعريف بإبداعه وفكره، بل وبالأدب الصيني الحديث بوجه عام، كما كان أثر هذه التّرجمات واضحاً في أعمال عدد من الكُتاب المصريين والعرب المتأثرين بأدب وفكر لو شون، مثل الكاتب المصري عبد الغفار مكاوي والسورية ألفت الإدلبي. ومع التّطور الذي شهده تخصص اللغة الصينية وأدبها في مصر، شهدت دراسات لو شون في مصر تقدماً ملحوظاً، فقدم عدد من الباحثين المصريين دراسات باللغة الصينية حول أدبه بالإضافة إلى الدراسات التي تم تقديمها من وجهة نظر مقارنة بين لو شون وعدد من الكُتاب المصريين.

الكلمات المفتاحية: الأدب المصري، الأدب الصيني، لو شون، ترجمات ودراسات أعمال لو شون

Abstract: The Chinese writer Lu Xun (1881-1936) is considered one of the most important writers in the history of Chinese literature. His works have been translated over the years into many foreign languages, including Arabic. In addition to translating his works, foreign researchers have presented many studies on his thought and literature, and Lu Xun's studies and translations into Arabic played an important role in introducing Lu Xun's creativity and thought and even modern Chinese literature in general, and these translations had a clear impact on the influence of a number of Egyptian and Arab writers on literature, like Egyptian writer Abdel Ghaffar Makawy and Syrian writer Olfat Al-Idlibi. With the development witnessed by the specialization of Chinese language and literature in Egypt, Lu Xun studies in Egypt saw a remarkable progress. A number of Egyptian researchers presented Chinese-language studies on Lu Xun literature in addition to studies that are presented from a comparative point of view between

* حسانين فهمي حسين، قسم اللغة الصينية كلية الألسن جامعة عين شمس، مصر. drhassanen@hotmail.com

Open Access. © 2022 the author(s), published by De Gruyter and FLTRP on behalf of the BFSU.



This work is licensed under the Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 License.

Lu Xun and a number of Egyptian writers.

Keywords: Egyptian literature; Chinese literature; Lu Xun; translations and studies of Lu Xun's works

1 لو شون بعيون عربية

يتمتع لو شون بوصفه قائداً ثورياً ومفكراً وأديباً بمكانة خاصة في تاريخ الأدب والثقافة والفكر الصيني، ويشير إليه الباحثون المعاصرون على أنه "محور دراسات الأدب الصيني"، فلو شون وأعماله معينٌ لا ينضب في مجال الدراسات الثقافية، وذلك يرجع إلى ثراء الأفكار التي قدمها في أعماله المختلفة، الأفكار التي يمكن الوقوف عندها وفهمها وشرحها من زوايا مختلفة، وهو ما يعرف بسحر الكلاسيكيات، أو لأنه بحق رمز للثقافة القومية الصينية الحديثة؛ وانطلاقاً من خياله الأدبي الفريد، ونقده للثقافة التقليدية واهتمامه بمصير الأمة، فقد نجح بأن يكون مصدر تنوير للشعب الصيني.

كما يعدّ لو شون أول من حاز شهرة عالمية، وحقق تأثيراً واسعاً خارج الصين من بين كتاب الأدب الصيني الحديث؛ فقد حققت أعماله انتشاراً واسعاً داخل الصين وخارجها، واستطاعت بمضمونها الفكري وسماتها الفنية أن تساعد في دفع تطوّر الأدب الصيني، أو كما ذكر الناقد الصيني المتخصص في دراسات لو شون قه باو تشوان: "إنّ لو شون أديب عظيم يتمتع بمكانة وسمعة عالميتين؛ فمآثره الثورية وروحه النضالية، حازت على تقدير مختلف الشعوب الأجنبية، كما حازت مؤلفاته الكثيرة إعجاب وتقدير القراء حول العالم، وكان لها تأثير واضح خارج الصين، وكان ما يزال على قيد الحياة حينما أعماله تُترجم إلى الكثير من اللغات الأجنبية، فوقفاً للإحصائيات غير الدقيقة، صدرت أكثر من خمسين ترجمة لأعمال لو شون في أكثر من ثلاثين دولة حول العالم، على مدار خمسين عاماً، كما نشرت بعض الدول ترجمات لسيرة حياته ودراسات حول أعماله وفكره، وهناك إشارات في أهم الموسوعات والمعاجم الأدبية العالمية حول قصته المعروفة "قصة أكيو الحقيقية" (لي تزونغ بينغ، 1982، ص494)، ومنذ خمسينيات القرن العشرين، قامت كلّ من مصر وسورية والعراق بترجمة عدد من أعمال لو شون القصصية ونشرها.

في مقالة له عنوانها "ليلة عربية" بمناسبة زيارته لمصر عام (1957)، تحدّث الكاتب الصيني يانغ شوا (1913-1968) عن تلك الليلة القاهرية التي جمعه بعدد من الكتاب والنقاد المصريين والعراقيين المقيمين بمصر، تناول الكاتب يانغ شوا في مقالته رغبة هؤلاء النقاد المصريين في التعرف على الصين وثقافتها وأدبها، فكتب يقول "وفي تلك الليلة، أهداني كاتب عراقي مقيم في القاهرة كتابين، أحدهما "مختارات من قصص لو شون" قام بترجمتها إلى العربية، ضمّت قصص "كونغ إي جي"، "مسقط الرأس" و"العائلة السعيدة" وغيرها من قصص لو شون، بينما يظهر على غلاف الكتاب صورة للكاتب لو شون، وقال الكاتب العراقي بكلّ تواضع: "نشرت هذه المجموعة القصصية بالقاهرة بمناسبة الذكرى العشرين لرحيل لو شون، وربما تكون أول ترجمة لأعمال لو شون إلى العربية" (مؤلفات يانغ شوا، 1995، ص504) وفي عام (1956)، صدرت في مصر ترجمة عربية لعدد من قصص لو شون من بينها "قصة أكيو الحقيقية"، و"يوميات مجنون"، و"الدواء" و"الوحيد" وغيرها من الأعمال القصصية، كما نشرت سوريا الترجمة العربية لقصتي "قصة أكيو الحقيقية" و"قصص جديدة عن حكايات قديمة"، وكانت دار النشر باللغات الأجنبية ببيكين قد أصدرت في عام (1964) أول ترجمة عربية لأعمال لو شون في كتاب عنوانه "قصص لو شون المختارة"، صدرت طبعته الثانية في (1974)، وضمّ الكتاب ثماني عشرة قصة من أعمال لو شون القصصية شملت: "الحنين إلى الماضي"، و"يوميات مجنون"، و"قصة أكيو الحقيقية"، و"كونغ إي جي"، و"الدواء"، و"الغد"، و"حادثة بسيطة"، و"مسقط الرأس"، و"ضحية العام الجديد"، و"عائلة سعيدة"، و"الطلاق"، و"الصابونة"، و"الأوبرا المحلية"، و"حدّ السيف"، و"العاصفة"، و"في الحانة"، و"الطيران إلى القمر" و"الوحيد".

في عام (1984)، صدرت الترجمة العربية "قصص جديدة عن حكايات قديمة" لـ لو شون، ترجمة محمد أبو جراد، وفي عام (1987)، صدرت الترجمة العربية "قصص مختارة من الأدب الصيني (1919-1949) – لو شون وآخرون" ترجمة محمد أبو جراد، وفي عام (1991) أصدرت دار النشر باللغات الأجنبية ببيكين ترجمة عربية لسيرة حياة لو شون عنوانها "سيرة لو شون" ترجمة محمد أبو جراد، وقد ذكر المترجم السوري محمد أبو جراد مترجم أعمال لو شون إلى العربية في مقدّمة الطبعة العربية لكتاب "سيرة لو شون": "لم يكن لو شون مجرد أديب كبير، بل كان مفكراً بارزاً وثورياً عظيماً، ووطنياً وأممياً منقطع النظير، وكان تطوره الأيديولوجي والأدبي وثيق الصلة بالتطور الثوري للشعب الصيني، وبوصفه واحداً من سادة الواقعية في القرن العشرين، كتب أعمالاً عكست بعمق ظروف الصين السياسية والاجتماعية في زمنه، وما يجسد إنجازه الأدبي العظيم هو أنّ أعماله توخّذ بين ثقافة الشعب الصيني البارزة ومثله وطموحاته وشمائله الكريمة، وأنّها في الوقت نفسه تنظّمها أيديولوجية ثورية غنية وعميقة، وتزكّيها روح قتالية عنيدة.

كان تفكير لو شون تفكيراً نضالياً خالداً، وذلك لاهتمامه الدائم بالمشكلة الرئيسة للشعب الصيني المتمثلة في الحنّ على التقدّم والثورة، ولاهتمامه أيضاً بتحرير الطريق الذي سلكه فكان طريق الثقافة الصينية الوطنية الجديدة. إن هذا الكتاب يقدّم الكثير عن حياة لو شون وروحه النضالية، ويوضّح الخلفية التاريخية لأعماله، وإصدار هذه الترجمة العربية سيساعد القراء العرب الذين يرغبون في فهم هذا الأديب العماق. (وانغ شي تشينغ، 1991) كما كان لفكر لو شون وأعماله الأدبية تأثير واضح في عدد من الكتاب العرب. ففي عام (1971)، وبعد قراءتها الترجمة العربية لمختارات من قصص لو شون، أرسلت الكاتبة السورية ألفة الإدليبي (1912-2007) لدار النشر باللغات الأجنبية ببيكين رسالة تحدّثت فيها عن رأيها في إبداع لو شون، فقالت: "تركزت لديّ مجموعة (مختارات من قصص لو شون) انطباعاً عميقاً، فقد استطاعت هذه القصص بفضل الموهبة الفنيّة للكاتبة تصوير مختلف الجوانب في حياة الشعب الصيني في ذلك العصر، وأنا على ثقة بأنّ هذه الأعمال ستبقى ضمن الأعمال الأدبية الخالدة على مرّ التاريخ، فالقصّة عمل فنيّ بصوّر حياة الشعوب، وبالرغم من أنّ تلك القصص كتبت قبل نحو نصف قرن من الزمان، إلا أنّها لا تزال تجذبنا إليها ببراعتها الفنيّة". (لي تزونغ بينغ، 1982، ص497) أما محمد نمر عبد الكريم خبير اللغة العربية السوري بدار النشر للغات الأجنبية، والأستاذ الزائر بكلية الدراسات الشرقية بجامعة ببيكين، الذي ترجم إلى العربية "مختارات من أشعار ماو تسي تونغ"، و"الأسرة" لباجين، و"الجمال شيانغ تسي" للراشه، و"ديدان القزّ الربيعية" وقصص أخرى" لماو دون و"تشيوي يوان" لقوه مور وه وغيرها من كنوز الأدب الصيني، فقد ذكر في معرض حديثه عن تجربته في ترجمة الأدب الصيني كيف أنّه يشعر بالأسف الشديد لأنه لم تُنحّ له الفرصة لترجمة أعمال لو شون إلى العربية قاتلاً: "ولئن كان السؤال يركّز على الرواية، فإني أودّ الخروج عن مضمون هذا السؤال لأشير إلى قصّاص صينيّ شهير لا يصحّ أبداً أن أغفل ذكره ما دام الحديث يتناول الأدب الصيني، وإنّه لمن سوء حظّي أن لم تُنحّ لي الفرصة لترجمة أيّ من أعمال هذا القصّاص والمترجم والناقد والأديب الكبير (لو شون) صاحب القصّة الواسعة الشهيرة "قصّة أكيو الحقيقية"، التي تعدّ سيرة ذاتية لتلك الشخصية المسماة (أكيو)، ولهذا الأديب قصة أخرى لا تقلّ شهرة عن قصة "أكيو"، وهي "يوميات مجنون"، وأظنّها باكورة أعماله". (مجلة أفق الثقافية، 2003)

وهناك من بين الكتاب العرب من تأثّر بشكل مباشر بفكر لو شون، وعبر عن ذلك في إبداعه الأدبي، حيث ذكر الكاتب المصري ومترجم بعض أعمال لو شون إلى العربية عبد الغفار مكأوي (1930-2012) في حوار لنا معه عن تأثّره بلو شون: "أذكر أنني بعد قراءة "قصّة أكيو الحقيقية" وغيرها من أعمال لو شون الأدبية، عجزت عن التعبير عن مدى إعجابي بإبداع هذا الكاتب العظيم، وقد كان لهذا الكاتب الكبير تأثيره الواضح على إبداعي الأدبي، فكتبت أكثر من خمس عشرة قصّة متأثراً بفكر لو شون وأدبه، فقد تعلّمتنا منه التعبير عن الحكايات الشعبية بأسلوب ومهارات فنيّة جديدة". (لي تزونغ بينغ، 1982، ص497)

وفي حديثه عن أهمّ الكتاب في تاريخ الأدب الصيني الحديث، ذكر الكاتب المصري سعد الدين وهبة (1925-1997): "وفي عشرينيات هذا القرن استخدم الأديباء الصينيون بزعامة لو شون، الأدب في كشف القوى التي تستعبد الشعب الصيني ورفعوا راية المقاومة ضد الإمبريالية والإقطاع، ودعوا جماهير الشعب إلى النهوض

والنضال ضدهما، ومن أهم الأعمال الأدبية في تلك الفترة "قصة أكبو الحقيقية" لـ لو شون و"ديدان القز الربيعية" لماو دون و"الآلهة" لـ كوموجو". (سعد الدين وهبة، 1994، ص114-115)

إنّ الأديب الصيني الكبير لو شون يحظى بمكانة كبيرة لدى أهل الفكر والأدب في مصر، فالكثير منهم يرونه من أهم رواد الفكر والثقافة والأدب الصيني الحديث، ومن بينهم الكاتب والمترجم المصري الكبير شوقي جلال، الذي قال في إحدى مقالاته حول الثقافة الصينية: "لقد ظهر في الصين منذ مطلع القرن العشرين العديد من الرواد والتيارات العلمية، وكانت هناك آراء ووجهات نظر جديدة في مجال الإصلاح الاجتماعي، ممّا عجل بقيام حركة نهضة سياسية وفكرية، كان من روادها لو شون (1880-1936) وتشن دو شيو (1879-1942) ولي دا تشاو (1889-1927). (محمد نعمان جلال، 2006، ص49)

لقد كان فكر لو شون محطاً اهتمام الأدباء والمترجمين والمتخصصين في دراسة الأدب الصيني وترجمته حول العالم، كما تركت أفكاره الثورية وأعماله الأدبية انطباعات جيدة لدى الدبلوماسيين والسفراء العرب العاشقين للثقافة الصينية والأدب الصيني، حيث ذكر السفير الليبي السابق لدى الصين ورئيس مجلس السفراء العرب ببيكين مفتاح ماضي عند حديثه عن لو شون وأعماله الأدبية: "بالرغم من نقده اللاذع للمساوئ الاجتماعية في عصره، إلا أنّه لم يقبل بأن يفهم الناس نقده على أنّه تقليد من أهمية العادات القديمة، وإذنا نظرنا إلى قصته (بوميّات مجنون) على أنّها عمل مهمّ في مجال مناهضة الإقطاعية، والأخلاقيات والعادات والآداب الإقطاعية، فإنّ لو شون كان رائداً في هذا المجال، كما أنّ (قصة أكبو الحقيقية) بشهادة النقاد في عصره ونقاد اليسار على وجه الخصوص عبّرت عن الشعب الصيني المضطهد من الحكام على مرّ العصور، حيث قدّم لو شون نقدًا حاداً لهؤلاء المؤمنين بالانتصار المعنوي أمثال بطل القصة أكبو، حينما قال: [هذه هي الروح الانهزامية]، إلا أنّ أكبو لم يكن بمقدوره آنذاك التمييز بين خصومه وأعدائه الحقيقيين؛ لذا فقد رأيناه في بعض الأحيان يمارس الاضطهاد على من هم أضعف منه."، ويضيف السفير السابق: "ولا أقول هذا بهدف تعريف القراء بلو شون؛ لأنّني لست متخصصاً في هذا المجال، ولم أطلع بعد على الأعمال الكاملة لهذا الكاتب الكبير، وقد قرأت في بعض المصادر باللغتين العربية والفرنسية شيئاً حول حياته ومكانته الأدبية، ووددت أن أسجّل انطباعي عن هذا الكاتب وأعماله." (مفتاح ماضي، 2000، ص55)

وفي تعليق له على أهمية فكر لو شون وإبداعه، ذكر بسام كبه سفير العراق السابق ببيكين عام (1999) أنّ قدرة لو شون على كتابة هذه الأعمال الثرية ترجع إلى معرفته العميقة بشعبه آنذاك، وآمال الصينيين في إنقاذ بلادهم: "إنّ الشهرة التي حقّقها لو شون آنذاك، وما زال يحقّقها في أيامنا، وستستمر مستقبلًا، تعود إلى أنّ قراء أعماله بإمكانهم سماع صوت شخص أعماله ومعاناتهم وآمالهم، كما أنّه لم يتوقّف عند تصوير متاعب الناس في عصره، وإنّما تعدّى ذلك إلى تحفيزهم وإيقاظهم من سباتهم ودفع عجلة التغيير الاجتماعي في عصره."

كما يرى السيد بسام كبه أنّ صفات الجهل والتخلّف التي كانت عليها شخص أعمال لو شون، كانت أمراً ضرورياً أصابته بسبب القوى الإقطاعية واضطهاد الحكام آنذاك، حيث أضاف: "يسعى لو شون في الكثير من أعماله إلى تعريف القراء بنظراته الناقدية تجاه الواقع الصيني آنذاك، ويمكن انطلاقاً من الاطلاع الدقيق على وصفه للفلاحين البسطاء، الوقوف على مدى احترامه لهم وإعجابه بمشاعرهم الطيبة والصادقة، ومدى الذل والهوان الذي ذاقه هؤلاء في ظلّ الظروف الصعبة التي عايشوها، وما تعرّضوا له من اضطهاد في ظلّ النظام الإقطاعي." (بسام كبه، 1999، ص71)

وفضلاً عن هذا التقدير الذي لاقاه لو شون وأعماله من قبل المنقّفين العرب، فقد كانت هناك أصوات ناقدة له وللثقافة الصينية التقليدية، موجهة سهام النقد للشخصية الصينية متّهمة إياها بالجهل والتخلّف، حيث ذكر الكاتب السوري علي عقلّة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب السابق: "وفي أثناء قراءتي لسيرة الكاتب الكبير لو شون ولبعض أعماله، وهو من الثوريين الأوائل، ومن الذين حملوا راية التغيير والثورة على القديم في المجتمع الصيني إبان نشوء جمهورية الصين ونضالها ضدّ عوامل التخلّف، ومن أجل التحديث في الداخل وضدّ تحديات الاستعمار في الخارج، وفتت على ما يمكن أن يستعرب الصينيون فهمي له، وهو تأثر لو شون بمفهوم الحداثة الفوضوية التدميرية التي سادت أوروبا في بداية القرن، ونمت في زمن الحرب العالمية الثانية. إنّ ما دعا إليه لو شون في وقت

ما وصولاً إلى التحديث والمجتمع الحديث فيه عدل وحق وروح ثورية متجلية، ولكن فيه -أيضاً- وبالقدر ذاته مخاطر على الحضارة والشخصية الثقافية الصينية وأصولها وأصالتها، وعلى الحسن الجيد من تقاليدها. فما ينشده لو شون مشروع، وما يثور عليه يستدعي ثورة واعية تقوم على معرفة واعية، إلا أن هذا الذي قاله لو شون، يلتقي على نحو مثير مع دعوة الحداثيين والفوضويين الأوروبيين". (علي عقلة عرسان، 2005)

وانطلاقاً مما سبق، يمكن الوقوف على التقدير الذي عبر عنه عدد كبير من الكتاب والباحثين العرب لفكر وأعمال الكاتب الصيني الكبير، وفي واقع الأمر، فإن لو شون وأعماله قد حظيا بترحيب واسع من قبل الأوساط الثقافية والأدبية في العالم العربي منذ الخمسينيات من القرن العشرين، وتركت أعماله انطباعاً عميقاً لدى الكثير من المثقفين العرب، ويعود الفضل في ذلك إلى الترجمات العربية لأعمال لو شون، والتي كان لها الدور الأهم في انتشار فكر لو شون وأدبه في المنطقة العربية، وقد عبرت أعماله المختلفة عن وطنيته وشجاعته في مواجهة الجهل والتخلف وغيرها من الصفات السلبية في الشخصية الصينية آنذاك، إلى جانب نقده اللاذع للمجتمع الإقطاعي الذي "يأكل فيه القوي الضعيف" و"يلتهم الإنسان"، كما عبرت عن دعوة لو شون إلى تحطيم التقاليد والاستفادة من الديمقراطية والعلم الحديث في الغرب.

وقد وافقت أفكار لو شون والمضامين الثرية لأعماله الواقعية ما يجيش في نفوس الشعوب العربية التي لا تزال تعاني من الإقطاع والاستعمار، فنظر القراء العرب إلى أعمال لو شون على أنها سلاح فكري لمواجهة التقاليد والأفكار القديمة ونقد التخلف والجهل والضعف، وكانت تلك الأعمال خير "وسيط" بين الأدب الصيني والقراء العرب لنشر فكر لو شون وأدبه في العالم العربي.

2 ترجمات ودراسات أعمال لو شون

منذ مطلع التسعينيات من القرن العشرين، شهد عدد المترجمين المصريين المتخصصين في اللغة الصينية زيادة ملحوظة، الأمر الذي صاحبه حركة ازدهار في ترجمة الأدب الصيني في مصر، والأهم من ذلك، أن حركة الازدهار هذه لم تتوقف عند زيادة ترجمات الأعمال الأدبية الصينية، وإنما شهدت ازدهاراً مماثلاً في دراسة أعمال الكتاب الصينيين من مختلف الأجيال الأدبية، حتى بدأت الدراسات والمقالات النقدية حول الأدب الصيني تلقى اهتماماً واضحاً من الأوساط الأدبية المصرية، وتحتل أعمال لو شون مكانة كبيرة بين الأعمال الأدبية الصينية المترجمة إلى العربية؛ إذ تمت ترجمة الكثير من أعماله القصصية في مصر، تلك الأعمال التي تركت انطباعات جيدة لدى القراء والمثقفين المصريين، فبعد المختارات القصصية من أعمال لو شون التي ترجمها عدد من المبدعين المصريين والعرب (عن لغات وسيطة) في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، والتي كان لها كما أسلفنا دور مهم في التعريف بلو شون بل وبالإبداع الصيني في المنطقة العربية، كان للمترجمين المصريين المتخصصين في اللغة الصينية دور كبير في تقديم المزيد من الترجمات والدراسات حول لو شون، وذلك من خلال ترجمات صدرت عن الصينية مباشرة، والتي نشر بعضها متفرقاً في صحف ومجلات مصرية وعربية، وكذلك صدور مختارات لأعمال لو شون عن دور نشر مصرية، مثل "منكرات مجنون" (ميرا أحمد، 2016)، وكتاب "يوميات مجنون-مختارات قصصية لأديب الصين لو شون". (أحمد السعيد تقديم، 2016)

فلى مدار تاريخ ترجمة الأدب الصيني ودراسته في مصر، والذي لم يكمل مئة عام بعد، نجد أن القراء والمثقفين المصريين ينظرون إلى لو شون باعتباره كاتباً ومفكراً كبيراً في تاريخ الأدب الصيني الحديث، فهناك كثير من الدراسات حول لو شون وأعماله المختلفة، من بينها دراسات تناولت فكر لو شون وأدبه بالمقارنة مع كتاب مصريين، بالإضافة إلى الدراسات التي تناولت مكانة لو شون في تاريخ الثقافة والفكر الصيني، وتشهد دراسات لو شون في مصر تطوراً ملحوظاً في الوقت الحالي، تمثل في كثرة هذه الدراسات وتنوعها.

وتعد رسالة الماجستير التي تقدمت بها الدكتورة جان إبراهيم بدوي، أستاذ الأدب الصيني بجامعة عين شمس عام (1987) وعنوانها "الواقعية في قصص لو شون القصيرة"، أول دراسة أكاديمية حول لو شون وأعماله في

مصر، وقد جاءت الرسالة في مقدّمة وثلاثة أبواب رئيسة؛ حيث حمل الباب الأول عنوان: الأديب والمفكر والثوري والوطني الكبير، تناولت فيه الباحثة التعريف بحياة لو شون ومشواره الإبداعي ومكانته في تاريخ الأدب الصيني الحديث والأدب العالمي عامة.

وترى الباحثة أن: "لو شون يتمتع بمكانة كبيرة في تاريخ الأدب العالمي، وقد تمّ ترشيحه للحصول على جائزة نوبل في الثلاثينيات من القرن العشرين، فهو أديبٌ بارزٌ يحظى بتقدير كبير بين كبار الكتاب العالميين، وقد تُرجمت أعماله إلى الكثير من اللغات الأجنبية، ويبرز اسمه وإنجازاته الأدبية في الموسوعات العالمية وسيّر الشخصيات البارزة." (جان إبراهيم بدوي، رسالة ماجستير بكلية الألسن جامعة عين شمس)

كما تحدّثت الباحثة عما أجري من دراسات حول أعمال لو شون في مصر والعالم العربي، واهتمامها بدراسة أعماله، ورغبتها في أن تستغل إتقانها للغة الصينية لمواصلة دراسة أعمال لو شون لسدّ هذه الثغرة في المكتبة العربية، حيث قالت: "بالنسبة للكاتب الصيني الكبير لو شون، [أبو الأدب الصيني الحديث] والذي حظي باهتمام كبير من الباحثين في الأدب الصيني في الغرب، نجد أن هناك نقصاً واضحاً في الدراسات المعنيّة بلو شون ومنجزه الإبداعي في العالم العربي مقارنة بدراسات في الغرب، وعلينا أن نجتهد في ذلك، وتجدر الإشارة هنا إلى أن دراسات لو شون في مصر قد بدأت منذ مرحلة مبكرة؛ ففي عام (1956)، تمت ترجمة عدد من أعماله المعروفة مثل "قصة أكبو الحقيقية"، و"يوميات مجنون"، و"الدواء"، و"كونغ إي جي"، و"الوحيد" وغيرها من القصص، ولكن للأسف الشديد توقفت الدراسات عنه في مصر خلال الثلاثين عامًا التالية."، وتابعت تقول: "وبصفتي باحثةً مصريةً في الدراسات الصينية، فأبني أشعر بأنّه من واجبي أن أقوم بتعريف الشعب المصري والعربي عامةً بلو شون وأعماله، بما يفيده في تطوّر الأدب المصري، ودفع دراسات لو شون في مصر لتلحق بما تشهده الدراسات الغربية حول لو شون ومنجزه الإبداعي؛ فعلينا الاستفادة من تجربة لو شون في التزام الواقعية في إبداعاته، لنمهّد الطريق أمام المزيد من الباحثين العرب للتعرف على أعماله وتناولها بالدراسة والبحث، ولهذا كلّه وقع اختياري على دراسة الكاتب الصيني لو شون كموضوع لرسالتي لنيل درجة الماجستير في الأدب الصيني." (جان إبراهيم بدوي، رسالة الماجستير)

وتناول الباب الثاني من بحث الدكتور جان سمات الواقعية في قصص لو شون القصيرة؛ حيث قدّمت الباحثة ملامح الواقعية في قصص لو شون وتصويرها للواقع الصيني آنذاك، وذلك انطلاقاً من تحليل عدد من القصص القصيرة في مجموعتي "الصرخة" و"التردد"، بينما تناولت في الباب الثالث الجذور التاريخية للواقعية في قصص لو شون، مسلطة الضوء على تأثير أعماله بالقصص الصينية الكلاسيكية وغيرها من الأعمال الواقعية الغربية. وتقوم دراسات التوازي التي دعت إليها المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن، على الدراسة المقارنة للظواهر والأعمال الأدبية التي تنتمي إلى ثقافتين أو أكثر لا توجد بينهما علاقات تأثير وتأثر واضحة، للوقوف على أوجه الشبه والاختلاف بين تلك الظواهر أو الأعمال الأدبية المختلفة، وقد اعتمد عدد كبير من الباحثين المصريين والعرب المتخصّصين في دراسة الأدب الصيني على هذه المدرسة في الأدب المقارن، ووقفوا على أوجه الشبه في فكر لو شون وإبداعه مع عدد من المفكرين والكتاب المصريين والعرب، بما في ذلك موضوع العمل الأدبي وشخصه وطرائق الإبداع ورمزية الأعمال المختلفة، والتي تعود إلى اختلاف الخصائص القومية للثقافتين الصينية والعربية، أو التشابه في الخلفية التاريخية، التي أنتجت عدداً لا بأس به من الدراسات المقارنة بين فكر لو شون وإبداعه وعدد من المفكرين والكتاب المصريين والعرب عامةً.

ومن الأبحاث التي تناولت مقارنة أعمال لو شون مع كتاب مصريين معتمدة على أوجه الشبه في الموضوع والمحتوى الفكري، البحث الذي قدّمه الدكتور حسن رجب حسن الأستاذ بقسم اللغة الصينية كلية الألسن جامعة عين شمس، وقارن فيه بين أعمال مختارة للكاتبين الصيني لو شون والمصري طه حسين (1889-1973)، مسلطاً الضوء على فكر كلٍّ من لو شون وطه حسين وخاصةً ما يتعلّق بنقد الثقافة التقليدية، والدعوة إلى مواجهة الرجعية، والاستفادة من الثقافة والأدب الغربي والدعوة إلى التنوير، أو كما ذكر الباحث في بحثه: "دراسة مقارنة لرواية طه حسين [الأيام] ورواية الكاتب الصيني لو شون [قصة أكبو الحقيقية]"، حيث يقول الباحث عن دور الكاتب الصيني لو شون المهمّ في تاريخ الأدب والثقافة الصينية الحديثة: "نذر الكاتب لو شون حياته لقضية تحرير الأمة الصينية،

وقد تُرجمت أعماله إلى الكثير من اللغات الأجنبية، وأثرت الأدب العالمي، فهو أحد أبرز الكتاب في تاريخ الأدب العالمي،"، ويضيف: "وجاء اختياري دراسة أعمال الكاتبين الكبيرين طه حسين ولو شون، بهدف التعرف على حياتهما ومشوارهما الإبداعي وظروف عصرهما."، "حيث استطاع الكاتب الصيني لو شون انطلاقاً من [قصة أكبو الحقيقية] -التي تتخذ من المجتمع الريفي أثناء عصر ثورة شين خاي في الصين أرضية لها- انطلاقاً من بطل القصة أكبو، تصوير المصير المأساوي للمواطنين البسطاء في ظلّ الحكم الإقطاعي الاستبداديّ وأثناء فترة ثورة شين خاي، وصوّرت القصة بصدق واقع الريف في ذلك العصر، وكشفت عن جرائم الحكم الإقطاعي، وعن التجارب المستفادة من فشل ثورة شين خاي، وتحليل الأمراض المعنوية في نفوس المواطنين الصينيين، فالقصة صورة مصغرة للمجتمع الريفي في الصين القديمة، ولوحة صادقة ومعبرة عن مصير المواطن الصيني الكادح آنذاك، ومختصر تاريخي لثورة شين خاي (حسن رجب حسن، 2004، ص 341، 350، 352، 353)،"، "بالرغم من أن لو شون وطه حسين لم يلتقيا أو يتعارفا، إلا أنه كان هناك تطابق في مشاعرهما وأفعالهما، فقد اتفقا في حبّ الوطن، وفي مشاعرهما الصادقة نحو شعبهما، وواجه الكثير من الصعاب والفساد السياسي، واستخدما القلم كسلاح في مواجهة المستمر الفساد والجهل والتخلف." (خه بنغ تشين، 2002، ص 58؛ يوسف الخطاطبة، 2002) كذلك قدّم الباحثون المصريون والعرب، الكثير من الدراسات المقارنة بين إبداع كلٍّ من لو شون والكاتب المصري والعالميّ نجيب محفوظ، وذلك استناداً إلى المنهج الواقعيّ الذي يميّز أعمال لو شون ومحفوظ في نقد الواقع الصيني والمصري، وخلق الكثير من الشخصيات المعبرة عن الشخصية الصينية والمصرية في عصرهما، وجهودهما في تطوير القصة الصينية والمصرية ونشرهما حول العالم.

ففي قصة "الدواء"، استطاع لو شون انطلاقاً من موت شياو شيوان، التعبير عن إيمان الشعب الصيني آنذاك بالأفكار التقليدية والخرافات، وعن مدى مواجهته للجهل والتخلف الذي أصاب أبناء شعبه آنذاك وسعيه إلى تغيير العقلية الصينية. أمّا في رواية "قنديل أم هاشم" فقد نجح يحيى حقّي من خلالها في تصوير إيمان الشعب المصريّ آنذاك بالتقاليد المتوارثة والخرافات، وإيمانهم بأنّ مصباح الزيت في مسجد أم هاشم أكثر فعالية في علاج أمراض العيون من الأدوية الحديثة؛ فكان الناس من أرجاء البلاد كافة يقصدون هذا المسجد، ويتكبّدون التكاليف الباهظة للحصول على هذا الزيت المبارك، ومنذ اليوم الأول فور عودته من بعثة دراسية للحصول على درجة الدكتوراه في أمراض العيون، بدأ الطبيب إسماعيل معارضة ما يؤمن به والده وخطيبته والكثير من أبناء شعبه، متعمداً على ما يتسلخ به من العلم الحديث لمواجهة الإيمان بقدرته زيت القنديل في علاج العيون، وبدأ في استخدام الأدوية الحديثة لعلاج عين خطيبته فاطمة، إلا أنّ مرضها ازداد سوءاً، وكاد يصل بها إلى فقدان البصر، وبعد تفكير عميق، قصد إسماعيل المسجد وعاد بقرورة من زيت القنديل لعلاج فاطمة، فشفيّت في الحال.

وإذا كان الصغير شياو شيوان في قصة "الدواء" للو شون ضحية للخرافات الإقطاعية، وأنّ لو شون عبّر عن معارضته القوية لهذه الأفكار والتقاليد البالية، إلا أنّ الكاتب المصريّ يحيى حقّي في رواية "قنديل أم هاشم" وجد نفسه في حيرة شديدة بين إيمان أبناء شعبه بالقدرات الخارقة لزيت القنديل بمسجد أم هاشم، وبين المعارف العلمية الحديثة التي عاد بها من الغرب، إلا أنه انحاز في نهاية الأمر إلى جموع الشعب وآمن بأنّه "لا علم بلا إيمان".

وفي رواية "قنديل أم هاشم" ليحيى حقّي، تأتي البطله فاطمة رمزاً لمصر، في حين جاء زيت القنديل والدواء الحديث الذي قدّمه بطل الرواية إسماعيل فاطمة رمزاً للصدام بين الشرق والغرب، وبين المادة والروح، وخُصّ المؤلف إلى أنّ إنقاذ مصر لا يمكن أن يعتمد على الحضارة الشرقية الروحية فقط، وإنما يحتاج في الوقت نفسه إلى الحضارة الغربية المادية، وتختلف وجهة نظر الكاتبين ومصائر الشخصيات في العملين، وربّما يعود ذلك إلى ربط يحيى حقّي بين القدرة الخارقة لزيت القنديل، وبين فهم العامة الخاطي، حيث يسقطون إيمانهم بمكانة المسجد وصاحبه على ذلك الزيت، ويرون أنّ رفضهم وشكّهم في قدرة زيت القنديل يتعارض مع إيمانهم، ولما كانوا مؤمنين صالحين فإنّه لا يمكن أن يشكّوا في قدرة زيت القنديل.

وفيما يتعلّق بتصوير واقع الحياة الاجتماعية لأبناء الشعب، والبحث عن أسباب التخلف الفكري للعامة، ومواجهة الفكر التقليدي في المجتمع الإقطاعي، والخلم ببقطة أبناء الشعب والتأثر بالأدب الروسي وغيره من

الآداب الأجنبية، يرى المؤلف أنّ هناك وجّة تشابهٍ بين أعمال لو شون والمصريّ محمود البدويّ (1912-1986)، إذ كان البدويّ قد زار بصحبة رفاقه من أعضاء الوفد المصريّ، القصر الإمبراطوريّ وسور الصين العظيم وحديقة القصر الصيفيّ، كما زاروا جامعة بكين العريقة، ومقرّ صحيفة "الشعب اليومية" ومتحف لو شون. وفي مقال له تحت عنوان "بكين مدينة القصور" والذي تضمنه كتابه الوحيد في أدب الرحلات "مدينة الأحلام"، ذكر محمود البدويّ جانباً من زيارته ومشاهداته في العاصمة الصينيّة حيث قال: "إن قاعة لو شون في بكين مكوّنة من عشر حجرات كبيرة وهي تعرض بالصور والتماثيل حياة الكاتب من مولده إلى وفاته، ومثل هذه القاعة للتخليد موجودة في شنغهاي، وعندما تدخلها تعرف حياة الكاتب، وكلّ آثاره وأعماله الأدبيّة. ترى شريطاً مصوراً مرسوماً بإتقان وبراعة، وتقرأ كلمات ما عن لو شون بخطّ كبير. إنّه ليس بكاتب عظيم فقط، ولكنّه رجل من رجال الثورة الأفاضل وبطل من أبطال بلادنا." (محمود البدويّ، 1958)

كتب البدويّ خلال مشواره الإبداعيّ ما يزيد على (390) قصّة نُشرت جميعها في مختلف الصحف والمجلات المصريّة، تركز معظم أحداث قصصه على الريف المصريّ، وعلى حياة الفلاحين في صعيد مصر وعاداتهم وتقاليدهم على وجه التحديد، ويسعى البدويّ في قصصه إلى النفاذ إلى حياة الفلاحين في الريف المصريّ والبحث عن أسباب تخلفهم، وما عانوه من قسوة الإقطاع، كما اهتمّ البدويّ في قصصه بالدور الوطنيّ وكتب عدداً من القصص في المناسبات الوطنيّة والكفاح ضدّ الاستعمار وعن الحروب المختلفة التي خاضتها مصر، بالتالي هناك أوجه شبه بين موضوعات قصص البدوي ومصانير شخصياته وأسلوبه الفنّي مع إبداع الكاتب الصينيّ لو شون.

وفيما يتعلّق بوجه الشبه بين أعمال لو شون ومحمود البدويّ، فقد يكون بحثنا للدكتوراة الذي تمّ تقديمه باللغة الصينيّة لجامعة اللغات ببكين عام (2008)، قد ساعد في تعرّف الباحثين المصريين والصينيين على هذه الموضوعات الجديدة فيما يتعلّق بمقارنة أعمال لو شون مع أعمال الكتاب المصريين والعرب وعلى رأسهم محمود البدوي، حيث حصلت الباحثة سامية عبد الحفيظ محمّد، على درجة الدكتوراة في الأدب الصينيّ من قسم اللغة الصينيّة بجامعة القاهرة عام (2016) عن رسالة دراسة مقارنة عنوانها "صورة المجتمع عند لو شون ومحمود البدويّ.. دراسة مقارنة".

وانطلاقاً ممّا سبق، يمكن القول بأنّه كان هناك اتفاقٌ في وجهات النظر للكثير من الكُتاب والمترجمين والباحثين والدبلوماسيين العرب من مصر وسورية والعراق والأردن وليبيا تجاه إبداع لو شون، فقد أشادوا جميعاً بالدور الكبير للو شون في تاريخ الأدب الصينيّ وما قدّمه لخدمة قضايا وطنه وشعبه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الدراسات المقارنة بين إبداعات لو شون والكُتاب المصريين المشار إليهم سلفاً، تندرج تحت دراسات التوازي، فلم تثبت حتّى الآن ثمة علاقة فعليّة بين أعمال هؤلاء الكُتاب المصريين وبين إبداع الصينيّ لو شون؛ حيث وقف الباحثون على نقاط تشابه بين أعمال لو شون وهؤلاء الكُتاب بما في ذلك موضوعات أعمالهم ومصانير الشخصيات والأسلوب الفنّي، وبالرغم من اختلاف البيئة الثقافيّة التي نشأ وعاش فيها لو شون وهؤلاء الكُتاب والمفكرون المصريّون، إلا أنّه كانت هناك نقاط تشابه واضحة بين المشكلات الحيّاتيّة التي واجهتهم ورؤيتهم في مواجهتها، ويمكن انطلاقاً من هذه الدراسات المقارنة تعميق التواصل بين الأدبيين الصينيّ والمصريّ، والتعرّف على الكثير من القضايا التي أثارها أعمال هؤلاء الكُتاب.

وانطلاقاً من الدراسات السابقة، يمكن الوقوف على نتيجة مفادها أنّ آراء جموع الكُتاب والمترجمين والنقاد والدبلوماسيين العرب من مصر وسورية والعراق والأردن وليبيا في فكر لو شون وإبداعاته الأدبيّة كانت متشابهة إلى حدّ كبير، حيث عبّروا عن تقييمهم وتقديرهم الكبير لما قدّمه لو شون لوطنه وشعبه، وقد اتفقوا جميعاً فيما يخصّ عظمة الأمتين العربيّة والصينيّة، وأنهما تتمتّعان بموروث ثقافيّ ثريّ وتاريخ عريق، إلا أنّهما تعرّضتا أثناء تاريخهما الطويل للكثير من النكبات بسبب سيطرة الأنظمة القديمة والحكومات الفاسدة والخائنة والمستبدّة، والاستعمار الظالم والوحشيّ؛ فكانتا في أمس الحاجة إلى تلك الأمثلة من المفكرين التنويريين لانتشال الشعب من تلك "الغرف الحديدية" الموصدة، ومواجهة الجهل والتخلف والرجعية، وبناء ثقافة قومية وذات جديدة.

لم يكن المفكر والأديب الصينيّ لو شون رائداً تنويرياً ومنقداً للأمة الصينيّة فحسب، وإنما انتشرت أفكاره في

العالم كلّه، خاصّةً في الدول العربية وغيرها من الدول التي عانت من الظلم والاستبداد، وستبقى روح لو شون وفكره "خالداً أبد الدهر".

لقد نجحت أعمال لو شون في أن تكون "جسرَ تواصلٍ" بين الشعب الصيني والشعوب العربية، فلم يكن أدب لو شون أدباً صينيّاً فحسب، وإنما أدباً عالمياً.

وتماشياً مع التطور الكبير الذي يشهده التواصل الثقافي الصيني العربي، واهتمام الباحثين والمتخصصين الصينيين والعرب المتزايد بهذا التواصل، فإنّ فكر لو شون وإبداعاته ستحظى باهتمام أكبر في العالم العربي، وسيُتعرّف القارئ العربي على المزيد من أعماله، وسيكون هناك اهتمام أكبر من النقاد والباحثين العرب بتقييم ودراسة أعمال لو شون، الأمر الذي سيكون له دوره في تعزيز انتشار الثقافة الصينية خارج الصين.

3 دراسة تأثير لو شون في إبداعات الكتّاب المصريين

على مدار تاريخ الأدبين الصيني والمصري، كان للترجمة دورها الكبير في التعريف بالتيارات الأدبية وإدخال الأنواع الأدبية الجديدة في الأدب الصيني والمصري على حدٍ سواء، فهناك الكثير من الكتّاب الصينيين والمصريين الذين بدأوا علاقاتهم بالأدب انطلاقاً من الأعمال الأدبية الأجنبية المترجمة إلى الصينية والعربية، قبل أن يتأثروا في إبداعاتهم بالأدب الأجنبي.

وقد بدأت حركة الترجمة في مصر أثناء عصر النهضة في مطلع القرن التاسع عشر، "ويعود الفضل في النهضة التي شهدها الأدب العربي الحديث إلى حركة الترجمة التي بدأت في مطلع القرن التاسع عشر؛ حيث كان الدور الكبير في تعرف الشعوب العربية على الأدب والثقافة الغربية، وانطلاقاً من الترجمة، تمّ إدخال مختلف الأنواع الأدبية الجديدة (مثل القصة والمسرح والنثر) والتيارات الأدبية الجديدة (مثل الكلاسيكية والرومانسية والواقعية)؛ حيث أعادت الترجمة الحياة للغة العربية، وتمّ إدخال عدد كبير من المصطلحات إليها، ممّا ساهم في إثراء مفرداتها، وزاد من القدرة على التعبير، كما ساعدت الترجمة في الوصول إلى قناعة، بأنّه لا مجال للتطور دون التخلّي عن الأساليب القديمة وإدخال الجديد في اللغة والأدب، الأمر الذي ساعد في إحداث تغيير واضح في أسلوب ومحتوى الأعمال الأدبية". (تشونغ جي كون، 2004، ص107)

كما أنّ رواد الأدب الصيني الحديث أمثال: لو شون، وجوو تزوه رن، وجينغ جين دوا، وشيو دي شان، وماو دون، وقو مور وه وغيرهم، عرفوا الطريق إلى الإبداع الأدبي بوساطة التواصل مع الآداب والثقافات الأجنبية. أمّا الأدب المصري الحديث، فإنّ بداية ترجمة إبداعات الكتّاب الصينيين لو شون إلى العربية كان مبعثها عدد من الكتّاب المصريين، الذين وجدوا في فكر لو شون وأدبه وأسلوبه الإبداعي أوجه تشابه تربط بينهم وبين هذا الكتّاب الصيني الكبير، وكان من بين هؤلاء الكتّاب المصريين من صرح في مناسبات عامّة بتأثره بإبداع الكتّاب الصينيين لو شون، وهناك من لم يصرّح مباشرة بتأثره بلو شون، إلا أنّه بإمكاننا الوقوف على ما يثبت تأثرهم به بما في ذلك موضوعات أعمالهم والأساليب الإبداعية ورسم الشخصيات.

ويُعدّ الكتّاب المصري عبد الغفار مكاوي (1930-2012) أحد الكتّاب المصريين الذين اعترفوا في أكثر من مناسبة بتأثرهم بالأدب الأجنبي وإبداعات كتّاب ومفكرين من آداب وثقافات أجنبية مختلفة، فبالإضافة إلى ما ذكره الدكتور عبد الغفار مكاوي حول تأثره بإبداعات كثير من الكتّاب الغربيين أمثال الشاعر الألماني كارل جورج بوشنر (1813-1837)، والشاعر والكتّاب الألماني برتولت بريشت (1898-1956)، والفيلسوف والكتّاب المسرحي الفرنسي ألبير كامو (1913-1960)، والفيلسوف الألماني مارتن هايدغر (1889-1976)، والفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (1844-1900)، والكتّاب التشيكي فرانس كافكا (1883-1924) والفيلسوف الألماني كارل تيودور ياسبرز (1883-1969) وغيرهم من الفلاسفة والكتّاب الغربيين، فقد كان أول أديب عربيّ يعترف بتأثره في إبداعاته المختلفة بالثقافة والأدب الصينيين؛ إذ إنّ مكاوي تأثر في إبداعاته القصصية بأعمال القاصّ الصيني لو شون، حيث قال: "أذكر أنّي بعد قراءة "قصة أكبو الحقيقية" وغيرها من قصص الكتّاب الصينيين لو شون، عبّرت

عن إعجابي الكبير بإبداعه... وكان لهذا الكاتب الكبير تأثيره في مهاراتي الإبداعية، فقد تأثرت بأسلوب لو شون في أكثر من خمس عشرة قصة من بين أعماله القصصية". (عبد الغفار مكاوي، 2007)

وفضلاً عن تأثره بالقصة الصينية في إبداعاته القصصية، فقد كان للثقافة الصينية تأثيرها على الإبداع المسرحي للكاتب المصري عبد الغفار مكاوي، وكان مكاوي قد ترجم منذ وقت طويل كتاب "الطاو" عن اللغة الألمانية، وصدرت الترجمة عام (1966)، بالإضافة إلى ترجمته لعدد من قصص الكاتب الصيني لو شون، وقرأ الكثير من أعمال لو شون (الترجمة إلى اللغتين الإنجليزية والألمانية) وترجم بعضها إلى العربية، من بينها ترجمته لقصص "يوميات مجنون"، و"الدواء"، و"حادثة بسيطة"، و"الوحيد"، و"السيف" وغيرها من القصص، فيمكن القول بأنه كان هناك تأثير مباشر لـ لو شون في إبداع الكاتب المصري عبد الغفار مكاوي.

عبد الغفار مكاوي فيلسوف وقاص ومسرحي ومترجم مصري (1930-2012). ولد في (1930/1/11) بمدينة المنصورة بشمال مصر، وتخرج عام (1951) في قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة، وعمل بعد تخرجه بقسم الفهارس الأجنبية بدار الكتب المصرية، قبل أن يحصل بعد تخرجه بفترة قصيرة على بعثة حكومية لإكمال دراسته بألمانيا، وحصل في عام (1962) على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة فرايبورغ وكان موضوعها "المحال والتمرد عند ألبير كامو"، كذلك حصل على ميدالية جوته الألمانية، وعلى جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة بمصر عام (2003).

وقد أشار عبد الغفار مكاوي إلى العلاقة القوية بينه وبين الثقافة الصينية والأدب الصيني، فكان قد قرأ منذ المرحلة الجامعية الكثير من الكتب حول الصين والثقافة الصينية، والتي كان لها الأثر الكبير في إبداعاته القصصية والمسرحية في ما بعد، ويُعرف مكاوي في مصر والعالم العربي بلقب "أديب الفلاسفة" و"فيلسوف الأدباء"، وتتميز إبداعاته الأدبية بمغزى فلسفي عميق، إذ للفلسفة تأثير واضح على لغة وأفكار أعماله المختلفة، أو كما قال مكاوي في حوار سابق "ففي أحيان كثيرة أنهم بأنني أكتب الفلسفة بعقل شاعر والقصص بروح فيلسوف، وقال أحدهم إنني أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، وهذا يقلقني أحياناً". (جرجس شكري، 2003)

قدّم عبد الغفار مكاوي ككاتب العديد من الأعمال الإبداعية في القصة والمسرح النثر؛ ففي مجال القصة، صدر له عدة مجموعات قصصية منها "ابن السلطان وقصص أخرى" (1967)، "السبت الظاهرة" (1967)، "الحصان الأخضر يموت على شوارع الأسفلت" (1981)، "يونس في بطن الحوت - قصص مختارة" (1997)، و"أحزان عازف الكمان" (2006)، و"النبع القديم" (2006) وغيرها من الأعمال القصصية؛ وفي مجال المسرح صدر له "من قتل الطفل" (1984)، و"اللبل والجبل" (1985)، و"زائر من الجنة" (1985)، و"بشر الحافي يخرج من الجحيم" (1986)، و"القبصر الأصفر" (1989) و"هو الذي طغى- محاكمة جلعاميش" (1992) وغيرها من الأعمال المسرحية.

وفضلاً عن إبداعاته القصصية والمسرحية، فقد عُرف مكاوي في العالم العربي بكتاباته في الفلسفة وترجماته الكثيرة عن الأدب والثقافة الغربية والشرقية؛ وفي مجال الدراسات الأدبية صدر له: "سافو شاعرة الحب والجمال عند اليونان" (1966)، "التعبيرية - صرخة احتجاج في الشعر والقصة والمسرح" (1971)، "ثورة الشعر الحديث - من بودلير إلى العصر الحاضر" (الجزء الأول عام 1974، الجزء الثاني عام 1998) و"المسرح التعبيري" (1984) وغيرها من المؤلفات؛ ومن مؤلفاته الفلسفية: "لم الفلسفة؟"، و"المنفذ"، و"الحكام السبعة"، و"النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت"، و"مارتن هايدجر"، و"نظرية أفلاطون عن الحقيقة"، و"ماهية الحقيقة أليثيا" (ثلاثة نصوص من كتاب الذكر) و"نداء الحقيقة"، و"قصيدة وصورة"، و"جنود الاستبداد"؛ وفي مجال الترجمة، أترى مكاوي المكتبة العربية بكثير من الأعمال المترجمة لأهم الفلاسفة والمفكرين في الثقافتين الشرقية والغربية، من أبرزها ترجمته لكتاب "الطريق والفضيلة، تاو-تي-كنج" للحكيم الصيني لاوتسه (من الألمانية إلى العربية) وصدر في القاهرة، سجل العرب، الألف كتاب (1967)، وترجماته لأكثر من ستين كتاباً لأبرز الفلاسفة والكتاب الغرب أمثال أفلاطون، وسقراط، وجوته، وبوشنر، وبريشن، وكامو، ومارتن هايدجر، وفريدريك نيتشه، وفرانس كافكا وكارل تيودور ياسبرز وغيرهم من الفلاسفة والكتاب الغرب.

وتتميز إبداعات الكاتب المصري عبد الغفار مكاوي بالمؤثرات المختلفة التي تأثر بها على مدار مشواره

الإبداعي الطويل، فلم يقتصر ذلك على الثقافة والأدب العربي العريق، وإنما امتد ذلك ليشمل الثقافات والآداب الأجنبية كالثقافة الغربية والشرقية؛ حيث كان للثقافة الصينية والأدب الصيني تأثيرهما في إبداع مكاوي، أو كما ذكر مكاوي في حوار أجراه المؤلف معه في القاهرة عام (2007): "الصين دولة ذات حضارة عريقة، وتتمتع بتاريخ وموروث حضاري وثقافي وافر، أنجبت على مدار تاريخها الطويل الكثير من الفلاسفة والمفكرين العظام أمثال كونفوشيوس ولاوتسه.

والفلسفة الصينية تمثل فلسفة الشرق العريقة، وأنا أعشق الثقافة الصينية والفلسفة الصينية القديمة، وكم أتمنى أن أجد الفرصة لتعلم اللغة الصينية لتساعدني في التعرف بصورة أفضل على الصين والثقافة الصينية العريقة، ولكن ها قد تقدم بي العمر وتدهورت صحتي." (عبد الغفار مكاوي، 2007)، وكان مكاوي قد أولى اهتمامًا كبيرًا بالفلسفة والفكر الصيني بعد ترجمته كتاب "الطريق والفضيلة" عام (1964)؛ إذ ظهر تأثيره بما قرأ وترجم عن الثقافة الصينية في الكثير من أعماله، مثل المجموعة القصصية "ابن السلطان وقصص أخرى" (دار المعارف، 1967)، ومسرحيّي "القبصر الأصفر" (دار الهلال، 1989) و"الحكيم يُلمي دموعه المؤجلة" (مجلة الإبداع، 2001).

وفي حوار لنا معه عن الأدب الصيني، قال مكاوي: "الصين تتمتع بموروث ثقافي وأدبي عريق، وقد قرأت الكثير من الأعمال الأدبية الصينية، على رأسها الأعمال القصصية للكاتب الصيني الشهير لو شون، وهو من كبار الكتاب الواقعيين حول العالم، عبرت أعماله المختلفة عن معرفته العميقة بواقع مجتمعه وظروف أبناء شعبه ومعاناتهم والأمهم، وقد ترجمت له قبل سنوات طويلة بعضًا من القصص القصيرة، التي نُشرت في القاهرة، وقد مرّ على قراءتي لأعمال لو شون أكثر من أربعين عامًا، ولكني لا أزال أتذكر الكثير من حكايات قصص لو شون، وأتمنى أن تحظى الثقافة الصينية والأدب الصيني باهتمام أكبر في مصر، وأن نجتهد في تعزيز التواصل الثقافي بيننا وبين الصين، والتعريف بالمزيد من أعمال الكتاب الصينيين."

أما عن تأثير إبداع مكاوي القصصي للكاتب الصيني لو شون، فقد ظهر في موضوعات قصصه وشخص أعماله وأسلوبه الإبداعي، والرمزية التي اتسمت بها كثير من قصصه.

وتعدُّ الثورة على الثقافة التقليدية البالية والبحث عن ثقافة وقيم جديدة من أهم ملامح تأثير مكاوي بالصيني لو شون، فإذا كانت دعوة لو شون إلى "تغيير العقول!" تضمنت في جانب منها تحطيم القديم، والثورة على الثقافة القديمة والأفكار الإقطاعية البالية، والعمل على إعادة بناء مجتمع صيني جديد يتمتع بثقافة وقيم جديدة، فإن أعمال الكاتب المصري عبد الغفار مكاوي اهتمت بصورة كبيرة بمواجهة الأفكار التقليدية البالية والمفاهيم الطبقيّة والجهل والتخلف في الأمة المصريّة، والكشف عن الفساد الاقتصادي والثقافي والأخلاقي الذي نتج عن تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادي في مصر في السبعينيات من القرن العشرين هذا من جانب، ومن جانب آخر العمل على إعادة بناء مجتمع جديد وثقافة جديدة.

كما كان هناك وجهٌ شبه في شخصية الكاتبين مكاوي ولو شون، تمثل في الوحدة والانعزالية التي عُرفا بها، والتي تعود إلى الأفكار التي كانا يؤمنان بها ورأيهما في المجتمع، وقد عبّر كلاهما عن مشاعره تجاه وطنه وأبناء شعبه انطلاقًا من الشخصيات التي قدّمها في أعمالهما، التي تحمل شيئًا من سيرتهما الذاتية، كما اهتمت قصص لو شون ومكاوي الواقعية برسم صورة دقيقة للمثقف الصيني والمصري، فكثيرًا ما نجد في قصصهما وصفًا للخبرات الحياتية والمعاناة والمآسي التي تتعرض لها الشخصيات المثقفة، كما نجحنا في التعبير عن "الوحدة والعزلة" التي تعاني منها هذه الشخصيات المثقفة في المجتمع "كانت العزلة أحد الشروط الدالة على بقائهم في زمن التنوير، وكانت -أيضًا- مازفًا صعبًا يؤرقهم، كانوا يعبرون انطلاقًا من الروح التنويرية"، فإذا كان الظلام والتقاليد البالية وكذلك النظام الإقطاعي الفاسد في المجتمع الصيني آنذاك، كل ذلك مجتمعًا دوافع أجبرت الشخصيات المثقفة في قصص لو شون على اختيار العزلة، فإن ضغوط الحياة الحديثة في مصر منذ الثمانينيات والعواقب التي ترتبت على الانفتاح الاقتصادي والسقوط الذي عانى منه المثقفون، كانت جميعها دوافع لشخصيات مكاوي لرفع راية المقاومة واختيار العزلة والتمرد على الظلم والفساد.

لقد عبرت قصص "الوحيد"، "في الحانة" و"الجراح" عن الفكر الانعزالي عند لو شون، فكان بطل قصة

"الوحيد" وي ليان فو يعيش في عزلة عن حوله، ومختلفاً عنهم، لم يتزوج ويعشق الأطفال، ويعارض بشدة تقديس الناس الأعمى للعادات والتقاليد البالية، يهتم بصدقه الداخلي وإخلاصه للحياة التي يعيشها. كذلك عُرف الكاتب المصري عبد الغفار مكاوي بحبه للعزلة، وحبّه الشديد للكُتّاب الانطوائيين الذين يعيشون العزلة أمثال كافكا، بريشت وبوشنر وغيرهم، وقد وجد فيهم مكاوي ما يبحث عنه من الثورة على التقاليد القديمة والبحث عن الحرية والعدالة، حيث يقول: "جورج بوشنر شقيق روحي؛ لأنه ثوريٌّ محبٌ مثلي، وعمي مات ضحية الحرية والثورة من أجل الشعب المسكين". (عبد الغفار مكاوي، 2006، ص46)

وقد عبرت الكثير من قصص عبد الغفار مكاوي عن شخصيته التي تميل إلى العزلة والحزن، ومن الأمثلة على ذلك الشخصيات الرئيسية التي رسمها في قصصه "الزلال"، "ابن السلطان" و"سيرة كلب يبحث عن إنسان" وغيرها من القصص.

كانت هذه الشخصيات تعيش في عزلة عن المجتمع، وتتميز بروحها الثورية في مواجهة التقاليد البالية والسعي إلى تغيير الجهل والتخلف الذي يعاني منه أبناء الشعب، وقال المؤلف في حديث له عن مغزى قصة "زلال": "ما أريد أن أُعبّر عنه انطلاقاً من هذه القصة، أنّ القيم التي نؤمن بها تحتاج جميعها إلى زلزال قوي"، فيبطل القصة "الزلال" غريب، لا يزال يشعر بالغربة والانطوائية بالرغم من عودته من الخارج إلى بلاده.

كما نجح لو شون في قصصه المختلفة، وانطلاقاً من واقعته النقدية في الكشف عن الأمراض الاجتماعية التي كان يعاني منها أبناء شعبه آنذاك، وهو ما كان سبباً مباشراً في تركه دراسة الطب وتفرغه للكتابة، إيماناً منه بأنّ الإنسان الصيني آنذاك كان بحاجة ماسة للعلاج الروحي قبل علاج الجسد، بعد أن عانى فترات طويلة من التقاليد البالية، وشعر بمعاناة جموع الصينيين وتعاستهم، وتأثر لبؤسهم وشقايتهم، فماذا يفيد الجسد الصحيح إذا كان العقل مريضاً، ولم يكن لو شون يستهدف النقد في حد ذاته، وإنما كان يكتب وينتقد بهدف تغيير عقلية أبناء شعبه، فقد دارت الكثير من قصصه حول "التغيير".

إنّ لو شون باعتباره أديباً يميّز بالفكر التنويري العميق، ومتقفاً قدم فكره التنويري لتطوير المجتمع الصيني آنذاك، فإن النقد الذي وجهه لتغيير عقلية المواطن الصيني بمثابة الدواء المر الذي لا بدّ من تعاطيه لعلاج أبناء شعبه، وقد نجح لو شون في أعماله القصصية وانطلاقاً من أسلوبه النقدي الساخر في تقديم وصف دقيق للواقع الصيني ورسم الكثير من الشخصيات المؤثرة؛ فعبر في قصصه المختلفة عن دعوته إلى تغيير الواقع وعقلية أبناء شعبه والمجتمع الفاسد، فوجه في قصته الشهيرة "يوميات مجنون" نقداً لاذعاً للتقاليد البالية التي "تلتهم الإنسان"، فهو في هذه القصة وغيرها يشجّع أبناء وطنه على مقاومة هذا الواقع القاسي "بإمكانكم تغيير هذا الواقع، تغييراً حقيقياً! ولتعلموا أنّ الواقع الجديد لن يكون فيه مكانٌ لهؤلاء الذين يأكلون لحوم البشر"، "وإذا لم تفعلوا، فإنكم ستواجهون المصير نفسه، ومهما طال بكم العمر، فسيأتي من يبئدكم شرّاً إبادة، كالصيد الذي يقضي على نمٍ أو حشرة!"

وانطلاقاً من تأثره بموضوعات قصص لو شون، كتب عبد الغفار مكاوي عدداً من القصص التي تعبر عن دعوته إلى تغيير عقلية البسطاء من أبناء شعبه، ويذكر في إحدى القصص التي كتبها في ذكرى رائد المسرح التعبيري بريشت: "هل فهم الشاب الخجول ما أقصده؟ وهل أردت أنا نفسي أن أؤكد تلك الفكرة التي عشت من أجلها وكافحت طويلاً في سبيلها إلى الإنسان العادي، أو الرجل الصغير الذي كتبت ما كتبت وشقيت في الوطن وفي المنفى ما شقيت لكي أعبر وعيه وأحصّه على تغيير واقعه؟ أجل هي فكرة التغيير، البؤرة التي التفت حولها حياتي كلّها وشعري ومسرحي وكفاحي كلّ، غير العالم فهو يحتاج للتغيير!". (عبد الغفار مكاوي، 2006، ص255)

كما تمثّل تأثر عبد الغفار مكاوي بالصيني لو شون فيما تضمنته أعماله القصصية من روح ثورية والنقد والسخط على الواقع القاسي والفاسد.

يقول عبد الغفار مكاوي عن شخصياته وثورتها على الواقع: "وشخصياتي دائماً ما تكون ثائرة ساخطة." كما في قصة "البيتيم"، فقد عبر الكاتب في عدد من قصصه عن نقده وسخطه على تردّي الحياة الاجتماعية والثقافة والفنون والتعليم في مصر، وعلى التخلف والجهل الذي أصاب المصريين: "كيف صرنا إلى هذه الحال؟ هل سبقنا عرب البادية إلى الحضارة والنظام وتركونا نتصادم في الفوضى والشراسة والوحشية؟"

ويرى الفيلسوف الوجودي ياسبرز أن: "النقد الذي يوجهه الإنسان للعصر الذي يعيش فيه يتطوّر جنباً إلى جنب مع وعيه الذاتي"، وهذا ما عبر عن الروح النقدية التي تميّز بها لو شون ومكّاوي تجاه مجتمعهما، والتي تعود إلى فهمهما العميق لفساد التقاليد القديمة والظلم والأمراض الاجتماعية والأزمات التي كان يعاني منها أبناء شعبيهما، فقدّمَا وصفاً دقيقاً "الأزمة التهميش"، وعرضها على القارئ صورة شاملة لما كانت تعاني منه شخوص أعمالهما من المشكلات والأمراض الاجتماعية، ليعبّر عن الدور الذي يلعبه الأدب في حياة الشعوب.

وهكذا يرى لو شون أنّ ذلك الواقع الصيني الذي "يلتهم البشر"، يدقّ ناقوس الخطر لإيقاظ الشعب الصيني لتعبيره، بينما يرى مكّاوي بلوغ الواقع في مصر تلك الدرجة من الفساد والظلم الاجتماعي ينذر بحدوث زلزال قوي لإيقاظ المصريين من سباتهم، وهذا ما عبّر عنه في قصته "الزلزال" انطلاقاً من بطل القصة (غريب)، ذلك المثقّف الذي كتب خطاباً لصديقه العزيز شفيق السيد الذي لم يره منذ وقت طويل، يؤكد فيه أنّ الزلزال قادم ولا شكّ عنده في ذلك، وشرح له الأسباب والمبررات شرحاً مستفيضاً، وأخذ يتلو عليه الحجج والبراهين على وقوع الزلزال، التي كانت شديدة الصلة بما يشهده واقع الحياة في مصر من الفوضى وتردّي الأوضاع في الاقتصاد والثقافة والتعليم، ليعبّر عن الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي عاشتها مصر في الثمانينيات، والتي يرى المؤلف أنها تُنذّر بوقوع زلزال، زلزال يبرّج العقول لا الأجسام، بهزّ الوعي البلبد النائم لا البيوت الآيلة للسقوط، ويخرج المخلصين والصادقين من تحت أنقاض الجمود والإهمال والتجاهل، وقد أهدى عبد الغفار مكّاوي هذه القصة لصديقه الشاعر المصري الكبير صلاح عبد الصبور (1931-1981) في ذكرى رحيله الثامنة عشرة، وهناك وجهٌ شديده واضح بين ما عبر عنه مكّاوي في هذه القصة وبين ما دعا إليه لو شون في أعماله القصصية من نقد للتقاليد القديمة والمفاهيم الإقطاعية والأفكار الجامدة، إلا أنّ هذا النقد والثورة على التقاليد البالية والدعوة إلى مواجهة الفساد والظلم والأمراض الاجتماعية وغيرها مما دعا إليه الكاتبان الصيني لو شون والمصري عبد الغفار مكّاوي في أعمالهما، لم يكن بهدف تشويه أمتهم وتثبيط همم أبناء شعبيهما، وإنّما كانا يهدفان إلى إيقاظ أبناء شعبيهما وعلاجهما ممّا أصابهما من أمراض أصابت العقول قبل الأجساد.

وفي حديثه عن تجربته في ترجمة أعمال لو شون إلى العربية، ذكر عبد الغفار مكّاوي، أنّ أكثر القصص التي أثّرت فيه ولا يزال يذكرها من أعمال لو شون قصّتا "الدواء" و"حدّ السيف"، وبعد مرور أكثر من عشرين عاماً على ترجمة مكّاوي قصة "الدواء" لـ لو شون، كتب مكّاوي قصّته المعروفة "نقل دم"، التي نرى أنّ هناك وجهٌ شبه واضح بين موضوع "الدواء" ومغزاه لـ لو شون و"نقل دم" لعبد الغفار مكّاوي.

لقد قدّم عبد الغفار مكّاوي في قصة "نقل دم" مأساة أحد المثقّفين المحالين على المعاش الذي مات حزناً على ابنه الوحيد الذي قتله المرض بسبب عدم قدرته على توفير المال الكافي لعلاج، وتحكي القصة اجتماع عدد من الأصدقاء المثقّفين في منزل أحدهم، ونقاشهم حول الأوضاع في مصر في السبعينيات وما أسفر عنه تطبيق سياسة الخصخصة، وأزمات المثقّفين وأمراض العصر الحديث الذي يأكل فيه القوي الضعيف، وعن المرض الذي أصاب الابن الوحيد لصديقهم المثقّف الثوري، الذي كان بحاجة إلى أن يدبّر كلّ يوم مبلغ مئتين وخمسين جنيهًا وهو كامل المعاش الذي يتحصّل عليه شهرياً، لشراء الدم الذي يحتاجه ابنه المريض، فقد اضطرّه الفساد المنتشر في وزارة الصحة وعدم قدرة المريض الفقير الحصول على الدم من بنوك الدم التابعة للحكومة، اضطرّه ذلك كلّهُ لشراء الدم من بنوك الدم في المستشفيات الخاصة وبأعلى سعر، وفي سبيل شراء الدم اللازم لعلاج ابنه، باع كلّ ما يملك حتّى أثاث البيت، ولكنّه لم يتمكّن من إنقاذ ابنه الذي مات من شدّة المرض، قبل أن يموت هو -أيضاً- حزناً على ابنه الوحيد.

فإذا كان المجتمع الإقطاعي الفاسد والأفكار القديمة البالية والجهل والتخلف هو السبب في مأساة (خوا ون شوان) في قصة لو شون "الدواء"، فإنّ سياسة الخصخصة وما نتج عنها من فساد حكومي واجتماعي والواقع المزري للمثقّفين وغيرها من المشكلات، كانت السبب في مأساة الصديق المثقّف الثوري وابنه المريض في قصة "نقل دم" لعبد الغفار مكّاوي.

كما اهتمّ الكاتب الصيني لو شون في أعماله المختلفة بفنّه المهمّشين في المجتمع وما تعانيه هذه الفئة من الظلم والاضطهاد والجهل والتخلف، فصور في قصصه العديد من الشخصيات من أبناء مسقط رأسه، وقدّم وصفاً دقيقاً

لمعاناتهم، فهناك شخصياتٌ آكبر، شيانغ لين ساو، قوي تو وأجانغ وغيرهم من الشخصيات. وفي وصفه لواقع هذه الشخصيات، كان يركّز على جانبين رئيسيين: النقد والسخرية من الجهل والتخلف الذي تبدو عليه هذه الشخصيات، والتقاليد البالية والواقع المظلم الذي تسبّب في معاناتهم، وفي كلّ هذا، كان لو شون يعبّر عن تعاطفه مع أبناء شعبه الذين كانوا ضحيةً لذلك الواقع المزري، و"حزنه الشديد" بسبب "الروح السلبية" التي منعتهم من مواجهة هذا الواقع والتمرد عليه وتغييره.

كما ظهر تأثر مكاوي بلو شون من خلال انحيازه للبسطاء واهتمامه بالكتابة عن فئة المهمّشين في المجتمع المصري، وعن معاناتهم اليومية كما صورها مكاوي في الكثير من أعماله القصصية؛ حيث قدّمت مجموعة "ابن السلطان" المجموعة القصصية الأولى لعبد الغفار مكاوي وصفاً دقيقاً لمعاناة فئات الفلاحين والعمّال والبسطاء في المجتمع المصري، والتقاليد القديمة والفساد والطبقية التي تسببت في هذه المعاناة، حيث يقول: "لكنني بقيت منذ ذلك الحين مشغولاً الفكر بقضية الإنسان العادي، الذي تمثّل كلّ الكتاب في كلّ العصور والبلاد أن يصلوا إليه أو يصل إليهم، صحيح أنني لم أبتعد قطّ عن وجدان هذا الإنسان العادي سواء في حياتي وعلمي بالتدريس، أو في بعض كتاباتي القصصية والمسرحية، بل وفي بحوثي ودراساتي التي أعلم تمام العلم أنها ظلت بعيدة عنه كلّ البعد كما ظلّ بعيداً عنها، إلا أنّ القضية لم تنزل تشغلني وتثير في نفسي بعض الأسئلة الخالدة والمستعصية، أسئلة مثل: لماذا نكتب ولماذا نكتب؟ وما قيمة ما نكتب أو جدواه إن لم يغيّر من الواقع، ويؤثّر في وعي الإنسان العادي وسلوكه؟" (عبد الغفار مكاوي، 2006، ص256)

كما يظهر تأثره بلو شون في موضوعات وشخصيات ومصائر أكثر من قصة في مجموعة "ابن السلطان"، وهناك وجه شبه كبير بين شخصية (المجنون) في قصة "ابن السلطان" لمكاوي وبطل قصة "يوميات مجنون" الشهيرة لـ لو شون؛ ففي قصة "يوميات مجنون"، نجح لو شون في الكشف عن تأثير العادات الصينية والخرافات القديمة على بطل القصة حتّى أصيب بمرض عضويّ نفسي، وقدّم لو شون وصفاً دقيقاً للخطر الذي يشعر به المجنون ممّن حوله انطلاقاً من نظراتهم وسلوكياتهم، ممّا جعله ينظر برؤية شديدة إلى كلّ شيء يحيط به، فهو يعتقد أنّه يعيش وسط أناس يأكلون لحوم البشر، "أنا أعرف طريقتهم، إنهم لا يريدون قتل كلّ إنسان من فورهم، ولا يجروون على ذلك، خوفاً من العواقب؛ لهذا فهم يتكاتفون جميعاً، وينصبون الثيران في كلّ مكان ليرغموني على قتل نفسي، ما عليك إلا أن تنظر إلى سلوك الرجال والنساء في الشارع قبل بضعة أيام، وإلى موقف أخي الأكبر في هذه الأيام، فذلك واضح تمام الوضوح، وأحبّ الأشياء إليهم هو أن يفكّ الإنسان حزامه، ويشنق نفسه في السقف، فبذلك يمكن أن يحقّقوا شهوة قلوبهم من دون أن يلاموا على القتل." وهكذا حتّى يطلق في النهاية صيحته التي بدت محبطةً للغاية أن "أنقذوا الأطفال! أنقذوا الأطفال!!".

ويبدو أنّ عبد الغفار مكاوي قد تأثر في قصته "ابن السلطان" بأسلوب لو شون (التعبيري) في قصته المعروفة "يوميات مجنون"، ليقدّم مكاوي صورة دقيقة لشخصية البطل المجنون ابن السلطان (أو كما كان الناس ينادونه الشيخ سيد)، وعبّر مكاوي على لسان بطله المجنون ابن السلطان عن سخطه الشديد للفساد السياسي ومعاناة الشعب وتعطّشه لعصر يسود فيه الحقّ والعدالة، فكان البطل ابن السلطان بجوب الطرقات وهو يصيح بين جموع الفلاحين البسطاء أن تحيا العدالة، يسقط الظلم: "فقد دأب على السير بين الفلاحين والتجار الوافدين على القرية في أيام السوق، والهتاف بصوت عالٍ "يحيا العدل"، وبالطبع لم يكن أحدٌ ينتبه إليه، أو يسأله عن معنى ما يقول، فقد اشتهر عنه أنّه قد صار من أحبّاب الله، ولو أنّه اقتصر على هذا الهتاف وحده ما كان في الأمر ما يدعو إلى القلق، فلقد ضبطوه في بعض الأحيان وهو يهتف "يسقط الظلم". (عبد الغفار مكاوي، 1967، ص11)

ولا يتوقّف عن تشبيهه الفلاحين إلى أن ينتظروا أباه السلطان الذي سيعمل على إنقاذهم وحلّ جميع مشكلاتهم، وسيواسي اليتيم ويوفّر للجميع المأكل والملبس، فقد عبّر لو شون ومكاوي في العليّن عن مقاومتهم للقيم البالية والعادات الإقطاعية والمجتمع الظالم والأنظمة الفاسدة انطلاقاً من شخصية المجنون.

كما يظهر تأثر مكاوي بلو شون في الاهتمام بتصوير الواقع ورسم الشخصيات المأساوية والبحث عن أسباب معاناتها ومصائرنا المأساوية، فيما اهتمّ لو شون في العديد من أعماله القصصية بوصف الاضطهاد السياسي والظلم والتقاليد البالية في زمن الإقطاع، وما نتج عن ذلك كلّ من مأس متعددة، ظهرت في مصائر شخصيات

القصص التي تضمّنتها مجموعتا "الصرخة" و"التردد".

وشملت المآسي التي صورتها أعمال لو شون ما تعرّض له البسطاء والضعفاء من أبناء الشعب، أمثال شيانغ لين ساو، وقوي تو وخوا ون شوان وغيرهم، والذين جاهدوا قدر استطاعتهم لأن يعيشوا مواطنين صالحين في ظلّ النظام الإقطاعي الظالم، إلا أنّهم في النهاية وجدوا جميع الأبواب موصدة في وجوههم، إلى جانب المصير المأساوي الذي تعرّض له جيون شنغ وتزه جيون في قصة "الجراح" وليو ون فو في قصة "في الحانة"، كما يمكن تقسيم المآسي التي تضمّنتها أعمال مكاوي القصصية إلى: المصير المأساوي الذي تعرّضت له فئة المهمشين البسطاء، والأمراض الاجتماعية وفساد النظام، وتصوير ومعالجة المصير المأساوي للعديد من الشخصيات البسيطة التي تضمّنتها قصص المجموعة، والكشف عن أسباب مصائرهم المأساوية، فيما أشار المؤلف إلى أسباب المصير المأساوي الذي تعرّضت له بعض الشخصيات في "ابن السلطان" مثل ابن السلطان، وعبد الموجود وصابر وغيرها من الشخصيات المهمشة، التي تعود لأسباب شخصية إلى جانب الفوضى والفساد السياسي في المجتمع المصري آنذاك.

أما مجموعة "أحزان عازف الكمان" التي صدرت في (2006)، فقد نجح المؤلف في تصوير النهايات المأساوية التي انتهت بها حياة الشخصيات المتقّة التي تضمّنتها قصص المجموعة، بمن فيهم الكتاب والعلماء والفنانون؛ حيث صورت قصة "فراشات الأسئلة حول الجسد المهان" النهاية المأساوية لبطل القصة الشاعر والمترجم المغمور، والذي صدمته الشاحنة فور خروجه من دار الكتب فمات في الحال، ولم ينتبه إليه أحد في حياته، ولم ينتبه أحد إلى شعره وقصصه وترجماته، ولم يتعرّف عليه أحد وهو ملقّى على الأرض جيئة هامة، ولن يذكره أحد بعد رحيله، فهو في نظرهم مجرد حشرة ومجنون.

كما ظهر في تصوير مكاوي للنهاية المأساوية لشخصية الشاعر المغمور في هذه القصة تأثيره بالفلسفة الوجودية، بالإضافة إلى رؤيته الشخصية للمأساوية وتراجيدية الحياة والقدرية، حيث يقول: "أنا ريفي، والريف ي مسحوق بالقدرية، وهي تحيط به كما تحيط "الخيئة" برقبة المشنوق، فما كنت أفعله في طفولتي نوع من الإحساس التراجيدي المتمرّد على الحياة والثائر على الظلم وعلى مآسي الوجود وشقاء الإنسان وظلمه، وأسندرك وأقول: إنّها ثورة إنسان مكتومة تُفصّخ عن نفسها في بعض القصص والمسرحيات والكتابات النثرية في ما بعد، ورغم هذا ما زلت انطوائياً وسليبيًا من ناحية الكفاح". (محمد بركة، 2012)

وفي قصة "فراشات الأسئلة حول الجسد المهان"، ظهر تأثير مكاوي -أيضًا- بالنقد الذي وجهه لو شون لأبناء شعبه كونهم "يعشقون الفرجة"، حيث قال لو شون في مقالته المعروفة "ماذا بعد خروج نالا": "سببى الجمهور الصيني عاشقًا للفرجة على المسرح"، فإذا بصقت في عرض الشارع، فستجد من يلتفت حولك للفرجة، لحظات وتتكون جماعات ترأب ما يحدث، يتجمعون بهدف "الفرجة"، وقد وجّه لو شون نقدًا لاذعًا لهذه الظاهرة النفسية في قصتي "التجمهر" و"ضحية العام الجديد".

وفي "فراشات الأسئلة حول الجسد المهان"، اهتم مكاوي بتصوير رغبة العامة في التجمهر و"الفرجة" السلبية، فما إن صدمت الشاحنة الشاعر المغمور، حتّى تجمهر حول الجئة أعداد كبيرة من المارة، الذين أخذوا ينظرون إلى الجئة الملقاة في عرض الطريق ويتساءلون عن هوية الميت وحظه السيئ الذي ألقي به أمام الشاحنة، حتّى صالح سائق سيارة الإسعاف، ما إن وصل مكان الحادث حتّى راح يشكو من شدة التعب ومن الجوع الذي يقرص معدته، بل راح يبحث هنا وهناك عن مطعم لتناول بعض الطعام، فعبر المؤلف عن نقده اللاذع للموقف السلبي لهؤلاء المارة وسائق سيارة الإسعاف.

ويمكن القول بأنّ المصير المأساوي لشخصيات لو شون وعبد الغفار مكاوي، توزّع بين المصير القدرى والعصري والاجتماعي، كما كان هناك تشابه في موقف الكاتبين من المصير المأساوي لشخصيات أعمالهما، حيث عبّرا عن تعاطفهما مع شخصياتهما؛ لأن تلك المصائر كانت تفوق قدرتهم على التغلب عليها هذا من جانب، ومن جانب آخر تعامل مع تلك المصائر بشيء من الكوميديا الساخرة، في محاولة منها لحنّ شخصيات أعمالهما على اليقظة والحدز.

وانطلاقاً مما سبق، يمكن الوقوف على تأثير لو شون في إبداعات الكاتب المصريّين، ولما كان عبد الغفار مكاوي أول كاتب مصري يتأثر بإبداعات الكاتب الصينيّ لو شون، فقد ظهر تأثره بلو شون في موضوعات قصصه، وأسلوبه القصصي وطريقة تعبيره ومصائر شخصياته، بل وفي اختيار عناوين قصصه، فقد تضمنت مجموعة "ابن السلطان وقصص أخرى" لمكاوي عناوين قصص تتفق مع عناوين قصص معروفة لـ لو شون، مثل قصتي "حادثة" و"البيتيم" لعبد الغفار مكاوي.

وقد استغلّ عبد الغفار مكاوي ثقافته الموسوعية وإتقانه أكثر من لغة أجنبية، وترجماته للكثير من الأعمال الفلسفية والإبداعية من ثقافات وأداب مختلفة، استغلّ هذا كله في التواصل مع الثقافتين الغربية والصينية، وقد عبّر كلٌّ من لو شون ومكاوي في إبداعاتهما المختلفة عن مشاعرهما الوطنية وانشغالهما بهوموم وطنهما ومستقبله، وحملتا راية التغيير والثورة على التقاليد البالية والمجتمع الظالم، ورفعا راية المقاومة ضدّ الإقطاع والأنظمة الفاسدة، ودغوة جماهير الشعب إلى النهوض والتحلّي بالروح الإيجابية، والخروج من "الغرف الحديدية" الموصدة، ومواجهة الجهل والتخلف والرجعية، وإنهاض الشعب وإحياء نهضة البلاد.

المراجع

- بسام كبه، (1999). حوار مع السفير العراقي بكيين عن لو شون. *مجلة دراسات لو شون*، (5)، 72.
- تشونغ جي كون، (2004). *تاريخ الأدب العربي الحديث*. بكين: دار كونلون للنشر.
- جان إبراهيم بدوي، الواقعية في قصص لو شون القصيرة. رسالة ماجستير بكلية الألسن جامعة عين شمس، مقدمة الباحثة.
- جرجس شكري، (2003). عبد الغفار مكاوي – الثقافة عطش حقيقي للحرية والعدل. *مجلة نزوى*، (36)، 155-170.
- عمان: مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان
- حسن رجب حسن، (2004). دراسة مقارنة لرواية "الأيام" لـ طه حسين و"قصة أكبو الحقيقية" للكاتب الصينيّ لو شون. *مجلة فيلولوجي*، (6)، 341-353. القاهرة: كلية الألسن جامعة عين شمس.
- خه ينغ تشين ويوجانغ رونغ، (2002). الدكتور طه حسين والسيد لو شون- دراسة مقارنة، *مجلة "العالم العربي"*، (1)، 57-60.
- سعد الدين وهبة، (1994). *نصف قرن في الصين*. القاهرة: دار الفجر للنشر.
- عبد الغفار مكاوي، (1967). ابن السلطان وقصص أخرى. القاهرة: دار المعارف.
- عبد الغفار مكاوي، (2006). *النبع القديم*. القاهرة: دار الهلال للنشر، (67).
- عبد الغفار مكاوي، (2006). أحزان عازف الكمان. القاهرة: دار شقيقات للنشر والتوزيع.
- علي عقلة عرسان، (2005). مقدمة وقفة وملاحظة. *مجلة الآداب العالمية*، (122). دمشق: اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- لي تزونغ بينغ وجانغ مينغ يانغ، (1982). *دراسات حول لو شون على مدار ستين عاماً*. بكين: دار العلوم الاجتماعية للنشر.
- محمد بركة، (2012). *الأديب الفيلسوف عبد الغفار مكاوي*. تمّ الاسترجاع من الرابط <http://www.islamtoday.net>
- محمد نعمان جلال، ترجمة وانغ يونغ وي (2006). *الصين بعيون مصرية*. شنغهاي: دار تعليم اللغات الأجنبية بـ شنغهاي.
- محمود البدوي، (1958). بكين- مدينة القصور. *مجلة الجيل*، (328).
- مفتاح ماضي، (2000). حوار مع السفير الليبي بكيين عن لو شون. *مجلة العالم العربي*، (6).
- من حوار أجراه المؤلف مع الكاتب المصريّ الراحل عبد الغفار مكاوي في منزله بالقاهرة، بتاريخ (2007/2/19).

من حوار محمّد عبد الرحمن يونس مع المترجم محمّد عبد الكريم، *مجلة أفق الثقافية* (2003/3/1).
"مؤلفات يانغ شوا" (الجزء الأول)، (1995). مقال عنوانه "ليلة عربية". جينان: دار شانغونغ للفنون والآداب للنشر.

وانغ شي تشينغ، ترجمة محمّد أبو جراد، (1991). *سيرة لو شون*. بكين: دار النشر باللغات الأجنبية بيكين.
يوسف الخطاطبة، (2002). دراسة مقارنة بين فكر لو شون ومحفوظ. *مجلة "العالم العربي"*، (4)، 13-12.

中国作家鲁迅作品在埃及的翻译与研究

哈赛宁·法赫米·侯赛因

摘要：中国作家鲁迅（1881—1936）被认为是中国文学史上最重要的作家之一。他的作品多年来已被翻译成包括阿拉伯语在内的多种语言。除翻译作品外，外国学者与评论家还对他的思想与文学作品进行了诸多富有价值的研究，而阿拉伯世界对鲁迅思想及其文学作品的翻译与研究，对于介绍鲁迅的创造力和思想乃至整个中国现代文学都起到了重要作用。诸多受鲁迅文学与思想影响的埃及作家以及阿拉伯作家的作品均明显受到了这些翻译作品的影响，如埃及作家阿卜杜·盖法尔·迈卡维和叙利亚作家艾勒法特·伊德莉比等。在埃及，随着汉语言文学专业的发展，鲁迅研究也取得了显著进步，不仅有学者从比较研究的视角将鲁迅与埃及作家进行对比，还有一些学者会直接使用中文进行鲁迅文学研究。

关键词：埃及文学；中国文学；鲁迅；翻译与研究